الإمام علي الهادي عليه السلام وسامراء في شعر الشاعر محمد حسين علي الصغير

ـ دراسة تحليلية ـ

Imam Ali Al-Hadi (PBUH) and Samarra in the poetry of Mohammed Hussein Ali Al-Saghir (as an Example) - An Analytical Study

م.م. قاسم عبد الحسين الخاقاني

جامعة الكوفة

كلية التربية المختلطة

Assist. Lect. Qassim Abdulhussein Al-khaqani

Kufa university

college of Education

الإمام علي الهادي عليه السلام وسامراء في شعر الشاعر محمد حسين علي الصغير
ـ دراسة تحليلية ـ

الملخص:

لقد اهتم الباحث و الشاعر العراقي محمد حسين علي الصغير رحمه الله في مجموعة من نصوصه الشعرية بمدح ورثاء أهل البيت عليهم السلام، فخصص لهذه الأغراض ديواناً شعرياً ضخماً مؤلفاً من ثلاثة أجزاء، جاء حصيلة معرفته وثقافته العلمية وخلفيته الدينية العميقة التي وصلت به إلى مراحل متقدمة .

أفرد مجموعة من القصائد الطويلة بحق الإمام علي الهادي عليه السلام، كما نظم قصيدة أخرى تحت عنوان "جولة في آثار سامراء" أثناء جولته في خرائب دور الخلائف: المعتصم، والمتوكل و غيرهما من خلفاء بني العباس، وما تحويه هذه المدينة من مكانة علمية وثقافية، وأفرد قصيدة بحق سامراء في ظل الإمامين عليهما السلام. بالإضافة إلى قصائد آخرى بحق أهل البيت عليهم السلام.

وتعكس هذه القصائد في أبياتها صوراً واضحةً وناصعةً للإمام علي الهادي عليه السلام ومدينة سامراء وما حوته من تاريخ وتراث لاحتوائها على مراقد أولياء الله، وفي كافة الفنون الشعرية والبلاغية وتصوير مكانتهما لدى المسلمين بصورة عامة والشيعة بصورة خاصة، وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي – التحليلي، الذي يهدف إلى استجلاء حياة الإمام الهادي عليه السلام و مدينة سامراء في شعر الصغير، إذ حوت قصائده على مادة أدبية وعلمية يستطيع من خلالها الباحث التعرف على شخصية الإمام عليه السلام، والكشف عن الجوانب المجهولة التي لم يرق إليها غيره من الشعراء ببنية أسلوبية رصينة ولغة شعرية واضحة.

الكلمات المفتاحية:

الأدب العربي والشعر، مدينة سامراء، ذاكرة الشعراء، شعر محمد حسين علي الصغير .

Imam Ali Al-Hadi (PBUH) and Samarra in the poetry of Mohammed Hussein Ali Al-Saghir (as an Example) - An Analytical Study

Abstract:

The late Iraqi researcher and poet Mohammed Hussein Ali Al-Saghir paid attention, in a collection of his poems, to praising and elegizing the Prophet's household. He dedicated a three- parts voluminous poetic collection for these purposes. This poetry was the result of his knowledge and deep religious background, which brought him to advanced levels.

He composed a group of long poems about Imam Ali Al-Hadi (PBUH) in addition to another poem entitled "A Tour in the Ruins of Samarra" during his tour in the ruins of the palaces of the Abbasid caliphs, such as Al-Mu'tasim, Al-Mutawakil, and others. Moreover, he also talked about what the city of Samarra included of scientific and cultural status. Furthermore, he dedicated a poem about Samarra during the time of the two Imams (PBUT) in addition to other poems about the Prophet's household.

These poems reflect clear and luminous images of Imam Ali Al-Hadi (PBUH) and the city of Samarra, containing its history and heritage as it housed the shrines of the allies of Allah. They also reflect their status among Muslims in general and Shias in particular, in all poetic and rhetorical arts. The researcher adopted the descriptive-analytical approach, which aims to reveal the life of Imam Al-Hadi (PBUH) and the city of Samarra in Al-Saghir's poetry. His poems contained literary and scientific material through which the researcher can identify the personality of the Imam and uncover the unknown aspects that other poets did not reach, with a solid stylistic structure and clear poetic language.

key words:

Arabic Literature and Poetry, City of Samarra, Poets' Memories, Poetry of Mohammed Hussein Ali Al-Saghir.

المقدمة:

يمثل الأدب العربي صورة من صور الحياة، التي يعبر فيها الأديب عن عواطفه وأفكاره، فيتولد عن ذلك روائع خالدة من الكلمات المناسبة الجميلة، وهو فن فطري لا يتطلب علماً، أو فلسفةً، أو صناعةً مكتسبةً، فالكلام إما أن يكون أبيات منظومة متناسقة فذلك الشعر، وإما ان يكون متدفقاً في نَغمٍ ونَسقٍ فذلك النثر، ولذا يعد الشعر من رحم الأدب الذي هو لغة الضاد التي تميزت بالمرونة والتكيّف مع كل متطلبات الحضارة، وكذا الشعر يتكيف بتغير الشعراء وبيئتهم وشخصيتهم، فالشاعر يعبر عن أفكاره وعواطفه وفقاً للمتغيرات الزمانية، والمكانية، والاجتماعية، وظروف البيئة التي يعيش فيها، فيرسم من خلال هذا كله صورة تدعى قصيدة.

فالشعر والأدب لطالما مَثَّلا رسالةً فيما يوثق من الوقائق التأريخية وخاصة إذا كان الشعر بعيداً عن أبواب السلاطين ودنانيرهم، كما هو سلاح له الأثر البالغ اذا ما تم توظيفه للانتصار لموقف معين.

فقد مَثَّل الشعر المرآة التأريخية لحضارة أي أمة، وهو بمثابة وسائل الإعلام في وقتنا الحاضر، وهذا ما أكده الجاحظ (ت٢٥٥هـ) بقوله "كان الشاعر في الجاهلية يُقَدَّمُ على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ويُفخّم شأنهم ويهوّل على عدوهم ومن غزاهم، ويُهيِّب من فرسانهم ويُخوف من كثرة عددهم فيهابهم شاعر غيرهم ويراقب شاعرهم"[1] فمن وصفٍ لقبيلةٍ، إلى التغني بمعشوقةٍ، فوصفٍ للتقلبات التي تطرأ على مدينة من وصف للحروب، والتغني بامجاد القبيلة وغيرها ... ويعد الشّاعر في القبيلة آنذاك المحامي والمدافع عن قبيلته، لذا إذا ظهر فيها شاعر تُقام له الولائم والاحتفالات بهذه المناسبة فيعظَم شأن الشاعر عندهم.

حضارة سامراء الأدبية:

فالشعر مرّ بمراحل وعصور متنوعة، اختلفت منزلته ومكانته من عصر إلى عصر آخر، حتى انتهى إلى العصر العباسي، فقد بدأت الحضارة العربية والإسلامية تأخذ شيئاً من الاستقرار، مع انتعاش الحركة الشعرية وتطور الحضارة وتوجهها نحو التجديد، وابتكاراً في المعاني والموضوعات وذلك لاتساع رقعة العالم الإسلامي،

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٠.

العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

واختلاف الحضارات، والتجديد الذي طرأ على الشعر العربي[١]، لاسيما عندما أصبحت مدينة سامراء عاصمة للخلافة العباسية، فبدأ النمو والإزدهار والتطور بشكل سريع، فكثر سكانها وقامت فيها المباني العالية والجوامع والأسواق، فأصبحت من دول العالم المهمة، ومركز لخلافة الدولة العباسية، يضاف إلى ذلك أنّ الإمامين العسكريين قد عاشا أعوام عدّة في مدينة سامراء فكانت المقر الرئيسي للحكومة العباسية، فبقيت عاصمة لهم مدة ٥٨ عاماً، واسمها الحالي مختصر من اسمها القديم (سُرَّ من رأى)، فتعاقب على حكمها سبع من الخلفاء العباسيين، ولكل مدينة شاعريتها الخاصة وغالباً ما نجد المدن حاضرة في قصائد الشعراء، فأسلوب أبنائها في الحديث عنها يختلف من شاعر إلى شاعر. لما تمتلكه هذه المدينة من آثر تأريخي وحضاري في النفوس، فقد تهيأ لها أن تحتل المركز الأول بين المدن الإسلامية حتى بغداد نفسها، فقد صار لها شأن واضح في المجالات السياسية والأدبية والعمرانية وغيرها ...، فقد خطت خطوات واسعة في مسارب الحضارة فغدت أملاً يراود أذهان الكثيرين[٢]، ولكل مدينة شاعريتها الخاصة، فأسلوب أبنائها في الحديث عنها، أو عن مشاعرهم تجاهها تختلف، وغالباً ما نجد المُدن حاضرة في القصائد، ليس بأسمائها فحسب، بل بميزة خاصة وروح خاصة ونفس مختلف يخص تلك المدينة أو غيرها، كذلك هي سامراء بما تمتلكه من أثر تأريخي وحضاري، وقد احتضنت الأدباء والشعراء وأرباب الفنون حتى أصبحت المدينة الأولى في هذا الجانب، ومناراً يشع منه العلم والأدب فيضئ أقطار المدن الإسلامية جمعاء، يضاف إلى حب الخلفاء والعلماء للعلم والأدب وتشجيع للمشتغلين بها[٣].

كما تشير الدراسات إلى أن مجموعة من الكتابات والرسائل التي كتبت في المجالات المختلفة كانت تهدى إلى الحكّام والوزراء قصد الحصور على المال منهم، وهذا كان الغالب عليهم وليس كلّهم في ذلك العصر، منها إهداء الكندي كتاب الفسفة الأولى للمعتصم[٤]، وإهداء

(١) ينظر: الشكعة، مصطفى، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ج٧، ص٨.

(٢) ينظر: السامرائي، يونس أحمد، سامراء في أدب القرن الثالث الهجري، ص٤٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٧٥.

(٤) ينظر: فروخ، عمر، صفحات من حياة الكندي، ص٦٧، ٧٧.

الجاحظ كتابه البيان والتبيين لمحمد بن عبد الملك الزيات[١]، وغيرها العشرات من الكتب التي تم إهدائها، فهذا ينم عن رواج الحركة الأدبية والشعرية وولع الحكام لها في ذلك العصر.

أسماء سامراء على ألسنة الشعراء:

فمما ورد من ذكر أسماء مدينة سامراء على ألسنة الشعراء بأسماء متعددة، منها ما ذكره الحموي في معجم البلدان، من ذلك ما قاله البحتري: (الكامل)

وأرى المطايا لا قصور بها

عن ليل سامرّاء تذرعه[٢]

فقد وردت في البيت سامراء ممدودة، وهي واحدة من اللغات التي ذكرت في تسميتها.

كما ورد باسم «سرّ من را» مقصور غير مهموز كقول الحسين بن الضحاك: (المنسرح)

سرّ من را أسرّ من بغداد

فالهُ عن بعض ذكرها المعتادِ[٣]

وقول ابن حماد أبي الحسن علي بن عبيد الله البصري: (البسيط)

وأرض طوس وسامراء قد ضَمِنَت

بغدادُ بدَرين حلاّ وسطَ قَبرينِ[٤]

وجاءت تسميات أخرى لمدينة سامراء منها «سامرّا، مقصور، وسرّ من رأى وساء من رأى» وغيرها قد أوردها المؤرخون في كتبهم تعبر عن العمق التأريخي لهذه المدينة وما تركته من أثر في نفوس الشعراء والمحبين وغيرهم.

وصف القصور والمباني في سامراء:

ومن جانب آخر فقد برع الشعراء في وصف القصور والمباني العالية، من ذلك ما أورده البحتري في وصفه لقصر «الجوسق»[٥] بقوله: (الكامل)

---

(١) ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم الادباء، ج٦، ص١٠٦.

(٢) ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج٣، ص١٧٣.

(٣) ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج٣، ص١٧٣.

(٤) أسماء سامراء في الشعر العربي، تاريخ الزيارة ٢٠٢٣/٦/٥.

(٥) وهو من القصور التي أقامها المعتصم العباسي والتي ما تزال اثار بعضها قائمة إلى الوقت الحاضر، تبلغ مساحته ٢١٠ ألف دونم مربع.

مجلة آداب سامراء
العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

يَغشى العُيونَ الناظِراتِ إِذا بَدا

قَمَرٌ مَتالِعُهُ رِباعُ الجَوسَقِ(١)

فقد وصف قصر الجوسق هو واحد من القصور التي بناها بنو العباس في سامراء، فكأن عظمة القصر وكُبْرَ حجمه يخشى على العين حتى كأنه لا تراها إذا بدا للناظر، فهو يتالع القمر في علوّه وارتفاعة وجماله.

وكما قيل: إن «ابن الجهم» كان في طليعة الشعراء الذي أبدعوا في وصف قصور سامراء، وقد مهد الطريق إلى غيره من الشعراء في وصف تلك القصور(٢)، من ذلك قوله: (المتقارب)

وسَطحٍ عَلى شاهِقٍ مُشرِفٍ

عَلَيهِ النَّخيلُ بِأَثمارِها

إذا الريحُ هَبَّت لَها أَسمَعَت

غناءَ القِيانِ بِأَثمارِها

وفَوّارَةٍ ثَأرُها في السَّماءِ

فَليسَت تُقَصِّرُ عَن تارِها(٣)

نلحظ في المقطع الشعري كيف وصف الشاعر القصور والمباني وعلوّها وارتفاعها، فهو يرسم لنا صورة ترشدنا إلى علو ارتفاع القصور بحيث يتمكن الذي يقف على شرفتها من اقتطاف الثمار فهي تتقارن معها في الإرتفاع والمجاورة، حتى إن صوت الريح عند هبوبها وكأنه يشبه تراطم الثمار مع بعضها بصوت المغنية والماشطة التي يتناغم صوتها، مستعملاً المجاز المرسل؛ لأنّ الثمار لا تغني.

طبيعة سامراء:

مدينة سامراء من المدن التي تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، بالإضافة إلى كونها تضم ضريحي الإمامين العسكريين عليهما السلام، ووجود المعالم الأثرية، كل هذا ساعدها على استقطاب السيّاح من داخل القطر وخارجه، وقد تغنى الشعراء بذلك، وقد ذكره الجواهري في قصيدته التي حملت عنوان "الطبيعة الضاحكة في سامراء" فيقول في وسط القصيدة: (الكامل)

حَيّيْتُ سامَرّا تحيَّةَ مُعجَبٍ

بـرُواءِ مُتَّسِعِ الفِناء ظَليله

بَلدٌ تساوَى الحسنُ فيه، فليلُهُ

---

(١) البحتري، ديوان البحتري، ج١، ص٢٥٣.

(٢) ينظر: السامرائي، يونس أحمد، سامراء في أدب القرن الثالث الهجري، ص٢٣٢.

(٣) ابن الجهم، ديوان علي ابن الجهم، ص٢٩-٣١.

كنهاره، وضحاؤه كأصيله
ساجي الرياحِ كأنما حلَفَ الصَّبا
أن لا يمُرَّ عليه غيرُ عليله
وكفاكَ من بلدٍ جَمالاً أنَّه
حَدِبٌ على إنعاش قلبِ نزيله[١]

فالقصيدة رائعة من روائع الشاعر التي تغنى بها بسامراء وبجمال طبيعتها الخلابة وطيب هوائها ومناخها، وعذوبة أرضها، فهو يلقي عليها تحية، متعجبا من براعة مناظرها التي تجذب مخيلة الناظر اليها، كما يساوي في القصيدة بين ساعات النهار والليل ... كما يعبر عن ليلها بالسكينة والهدوء ... إلخ.

كما مَجَّدَ الشاعر «أمجد العطار» بمدينة سامراء في قصيدته التي حملت عنوان « هي سامراء» التي تغنى بجمالها وطبيعتها الخلابة وبتربتها التي تَفحُّ منها عطر المسك فيقول في مطلعها: (الرمل)

هِيَّ سامرَّاء قَد فَاحَ شَذاها
وتـراءى نورُ أعلامِ هُداهَا
يَـالهَـا مـنْ بَـلـدَةٍ طيِّبةٍ
تُربُها مِسكٌ وياقوتٌ حَصاها
حبّـذا عَـصرٌ قضيناهُ بِها
بَلغت أنفُسَنا فيه مُناها[٢]

وكان للأديرة، والحدائق، والرياض، والمتنزهات، ومجالس اللهو، ومواطن الصيد نصيب على السنة الشعراء، ومن الغريب أن نرى تجاهل الشعراء على ألسنتهم للمساجد والمآذن، التي امتازت بفسحتها وفخامتها من جهة، وبمآذنتها الغريبة إلا ما ندر من جهة أُخرى [٣].

وبعد أن كان الشعراء يتسابقون في مدح قصورها، وطيب مكانها، ورقة ليلها، وازهار مكانتها إلا أنه لم يستمر طويلاً فسرعان ما فقدت صفة العاصمة التي كانت علّة وجودها، وأخذت بالاندراس بسرعة هائلة، فبعد أن كان الشعراء يتسابقون في مدح قصورها أخذوا يسترسلون في رثاء أطلالها. وفي الواقع ماتت سامرّاء ميتة فجائيّة بعد عمر قصير لم يبلغ نصف القرن، وأمست رموسا وأطلالا [٤].

(١) الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، ج١، ص١٢.

(٢) شبر، جواد، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام، ج٦، ص٧٠.

(٣) ينظر: السامرائي، يونس أحمد، سامراء في أدب القرن الثالث الهجري، ص٢٩٦.

(٤) ينظر: المحلاتي، الشيخ ذبيح الله، مآثر الكبراء في تأريخ سامرّاء، ج١، ص١٢.

العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

كما حضيت مدينة سامراء بمثوى الإمامين العسكريين عليهما السلام فهو مزار مقدس تهوي اليه أفئدة الملايين من المسلمين المحبين لأهل البيت النبوي عليهم السلام وهو من المعالم المهمة، كما تضم المدينة مشهد «صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وسرداب الغيبة، وضريح السيدة نرجس زوجة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأمّ الإمام الحجّة عليه السلام يضاف إلى ذلك ضريح السيّدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليهما السلام ووجود السرداب الذي بدأت به غيبة الإمام القائم الكبرى عجل الله تعالى فرجه الشريف، وقد تلونت قصائد الشعراء في مدح الأئمة عليهم السلام وخاصة بحق الإمامين العسكريين في سامراء والمراقد المجاورة لهم، ومن ذلك ما ذكر في شعر الشيخ البهائي[1]، بحق العسكريين عليهما السلام يقول: (المديد)

أسرِع السّير أيُّها الحادي
إنَّ قلبي إلى الحمى صادي
وإذا ما رأيْتَ من كَثَبٍ
مشهد العسكري والهادي
فالثم الأرضَ خاضعاً
فلقد نِلتَ واللهِ خيرَ أسعاد
وإذا ما حللّتَ ناديهم
يا سقاه الإله من نادي
فاغضِضُ الطَّرفَ خاضعاً ولهاً
واخلَع النَّعلَ إنَّه الوادي[2]

الإمام علي الهادي عليه السلام في شعر محمد حسين الصغير:

اسمه:

هو الإمام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهو الإمام العاشر من أئمة المسلمين.

---

(١) هو الشيخ بهاء الدين أبو الفضائل محمد بن الحسين بن عبدالصمد، الحارثي الهمداني العاملي، ولد في بعلبك نحو سنة ٩٥٣ هجري، وفي أيام الدولة الصفوية هاجر أبوه إلى إيران، فحظي الشيخ البهائي بمنزلة رفيعة لدى الشاه عباس الأول، وارتقى منصب شيخ الإسلام، وسافر إلى بلدان عدّة كالبيت الحرام ومدينة الرسول صلى الله عليه وآله والعراق ومصر والشام والقدس وهرات، وغيرها، ثم عاد إلى أصفهان، وله مؤلفات عديدة في الحديث والدراية والتفسير والرجال والدعاء والفقه وأصوله والنحو والشعر والبلاغة والصرف وعلم الهيئة والحكمة والتأريخ والأدب وغيرها، وله كرامات معروفة، وتوفي في أصفهان سنة ١٠٣١هجري، ونقل جثمانه إلى مشهد المقدسة.

(٢) الاميني، الشيخ عبد المحسن، شعراء الغدير في القرن الحادي عشر، مج١، ص٤٣.

ولادته:

ولد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام في قرية أسسها جدّه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام تبعد ثلاثة أميال عن المدينة المنورة تسمى حاضرة (صريا)[١]، من أم مغربية تسمى (سمانة) في الخامس من شهر رجب[٢]، وقد اختلف المؤرخون في سنة ولادته، إلا أن معظم المصادر تشير إلى سنة ٢١٤ هـ[٣]، وقد أطل بولادته البهيّة بالبهجة والبشائر على آل محمد عليهم السلام، وأنّه المولود الذي سينهض بثقل الإمامة، وسماه أبوه (علياً) وكنّاه (أبا الحسن)[٤]، كما امتاز عليه السلام بهذه الكنى موحدّة ومثنّاة، واشتهر في الأفق بلقب (الإمام الهادي)[٥]، ويطلق عليه لقب (العسكري) نسبة إلى مدينة العسكر وهي سامراء[٦] وكان هذا اللقب مشتركاً بينه وبين ابنه الحسن عليه السلام حتى عاد بديلاً عن اسمه.

نشأته:

نشأ الإمام عليه السلام في ظل أبيه الإمام الجواد عليه السلام في صباه الحالم، وهو يستضيء بذلك الإشعاع في الهدى والاستقامة، ويقتبس من لمحه المتوهج في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وكانت العناية الإلهية تسدد الخطى وتكشف غياهب الدرب، ولا عجب؛ أن يستلهم هذا الصبي الموهوب أجواء بيته وعطاء بيئته، وقد أقام الإمام مع أبيه ستّ سنين وخمسة أشهر، وبقي بعد وفاة أبيه ثلاثاً وثلاثين سنة وشهوراً[٧].

وهكذا كان الإمام علي الهادي عليه السلام حديث الشاهد، وأنشودة الوارد؛ صلابة في الإيمان ودقة في النظرات، وثبات على المبدأ، وقد لقب بعدة ألقاب منها، النقي، والعالم، والفقيه، والأمير، والدليل، والعسكري، والنجيب[٨]، وقد اغتيل أبوه

---

(١) ينظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج٥٠، ص٩٠.

(٢) ينظر: الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ج١، ص٤٩٨.

(٣) المسعودي، علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، ص١١٣.

(٤) ينظر: ابن شهر اشوب، رشيد الدين، مناقب ال أبي طالب، ج٢، ص٥٠٥.

(٥) ينظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٦، ص١٧٥.

(٦) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٥٦.

(٧) المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص١١٤.

(٨) المجمع العلمي، أعلام الهداية: الإمام علي بن

العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

فجأة، وغادر الحياة في باكورة الشباب[١]

وقد شهدت بدايات النص الأول من القرن الثالث الهجري تولي الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام منصب الولاية الإلهية في إمامته وهو في سنٍّ السابعة من عمره الشريف، فلم يفاجأ المسلمون في سن الصبا لتولي الإمام زعامة الأمة، بل كان أبوه الإمام الجواد عليه السلام على شاكلته لأن تستضيء الأمة بإمامته، فقد هدأت حدّة الجدل في شأن إمامته، وكان عليه السلام «أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صَمَت عليه هيبة الوقار، وإذا تكلم فسيماه البهاء، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقرّ الوصية والخلافة شعبة من دوحة النبوة منتضاة مرتضاة، وثمرة من شجرة الرسالة مجتناة مجتباة»[٢].

وقد أذعن المناوئون لأمر الإمامة مذعنين للواقع، وقد التفت الأمة حوله وبدأت تتصاعد شعبيته في الأفاق، واستمر الإمام عليه السلام في السير على نهج آبائه في العلم والمعرفة والتدريس في مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله، في الوقت الذي تضاءلت فيه القيم الاجتماعية وعصفت فيه رياح الانحراف في ظل حملات الإرهاب الدموي، والحياة السياسية الصاخبة، واستلهام البلاط العباسي أساليب جديدة لإرهاب الأمة، في بث الوعي الرسالي بين صفوف الأمة، وإنقاذ الشعب المسلم من هاوية الإنحدار وشبهات الظلال[٣]، وهذا ما أقلق الحكومة العباسية آنذاك، مما إضطر المتوكل العباسي لأن يستدعيه إلى سامراء فيقيم هناك تحت طائلة الرقابة والتشدد والرصد التام، وعلى الرغم من التضييق استطاع الإمام عليه السلام أن يبقى على تواصل مع الأمة بحذرٍ وسريةٍ تامةٍ، فبث تلامذته ووكلاءه في الأقاليم كافة لتبليغ الرسالة، وتأدية الأمانة، وتبليغ الرسالة، وتسلم الحقوق لصرفها في مظانها، أو إرسالها إلى الإمام بطريق ما، فكان هذا النظام «الوكلاء» تأصيل في إطاره العام إحكاماً لأمر الإمامة، وتخطيطاً مستقبلياً لقيادة حفيده الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف[٤]، فكان تخطيطه عليه السلام لقيادة الأمة من بعده واستمرار خطه على

محمد الهادي، ٢٣ عن صحاح الأخبار، ص٥٦.

(١) الصغير، محمد حسين علي، الإمام علي الهادي النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي، ص٢٠.

(٢) ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٥٠٥.

(٣) الصغير، محمد حسين علي، الإمام علي الهادي النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي، ص٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٧.

يد حفيده الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ومن جانب آخر ولئلا تقع الأمة في الإيهام واللبس في من يتولى منصب الإمامة من بعده، فقد صرّح الإمام عليه السلام بمن بعده من الأئمة، وبالخلف منهم "الخلف من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف... إنكم لا ترون شخصه، ولا يحل لكم ذكر باسمه"(١).

فهو يشير إلى منع ذكر الإمام باسمه لشدّة الطلب عليه.

وقد عاصر الإمام الهادي عليه السلام ستة من الخلفاء العباسيين ابتدءً من المعتصم، ثم الواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، وحتى استشهد عليه السلام مسموماً في سامراء على يد المعتز العباسي في ٣ رجب سنة ٢٥٤هـ.

فكل هذه الأحداث التأريخية كان لها الآثر الكبير على ألسنة الشعراء في مختلف الأزمة والعصور، فكانوا يستجيبون بشكل أكبر لها ويعبرون عنها بقصائدهم، حتى وصل إلى عصرنا هذا؛ من أجل تمجيدها وبقائها وإيصالها إلى الأجيال؛ ولكي يبقى هذا الفكر وهذه العقائد والمشاعر في الاذهان، وكان من بين هؤلاء الشعراء الأستاذ الأول المتمرس الدكتور محمد حسين علي الصغير (رحمة الله عليه)، والذي كتب في حياة الأئمة جميعاً شعراً ونثراً، وكان من بينهم الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام موضوع بحثنا، فقد كتب العديد من القصائد التي تمجّد به، وتحيي ذكراه، من ذلك قصيدته التي نظمها في ١٩٩٣/٦/١م من شهر ذي الحجة لعام ١٤١٣هـ، فقد كانت تحمل مضامين عدّة في طياتها منها ما وصف به الإمام عليه السلام .

في بيان حسبه ونسبه والتي مطلعها: (البسيط)

حيَّيتُ ذكراكَ في تاريخها العَطِرِ
يا طَلعةَ الحَسَبِ الوضَّاح من مُضَرِ
ورُحتُ أستافُ روحاً من ملامحِها
من نفحَةِ الفجرِ، أو من نَسمةِ السَّحرِ
قالوا: أتعرفهُ كُنهاً، فقلت لهم:
الشَّمسُ معروفةٌ بالعَينِ والأثرِ(٢)

فالشاعر بيّن في أبياته حسب ونسب

(١) الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ص٣٣٨.

(٢) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٣٩٣.

الإمام عليه السلام فهو يحيّي ذكر الإمام وتاريخه العطر والمضيء ويرجع نسبه عليه السلام إلى مضر وهو الجد السابع للنبي محمد صلى الله عليه وآله، ويضاف أن الشاعر يحلق ليشم روح الإمام عليه السلام من صفاته، ومحاسنه من نسمة سريعة تهب وقت الفجر، أو وقت السحر فهما من الأوقات التي يبارك الله فيها لعباده، فهو وصف دقيق يربطه بالإمام عليه السلام، ثم يضيف أن أصله وجوهره واضح فلا غبار عليه كوضوح الشمس في النهار فلا يستطيع أحد أن ينكر وجودها، وهكذا هو حاله عليه السلام. ثم يستمر الشاعر في ربط نسب الإمام عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله فهو سليل النبوة، ومن شجرةِ نسبٍ لها كرَمٌ وحَسَبٌ، ولم يقف هذا الحسب والنسب برسول الله صلى الله عليه وآله وإنما يتصل بأخيه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو خير البشر بعد النبي فيقول: (البسيط)

موصولةٌ برسول الله دوحتُهُ
وتلتقي بعلي خيرة البشرِ[1]

وقوله أيضاً: (البسيط)

هذا أبو الحسن الهادي وسيرتُهُ
كسورةِ الحمد فاقَت سائرَ السُّوَرِ[2]

فالبيت الشعري جاء لإتمام ما بدأ به الشاعر في تبيان فضل الإمام عليه السلام، ولإبراز سيرته وكيف شكلت مرتكزاً تدور حوله الأمة؛ فهذا التشبيه التمثيلي المرسل الذي وُفِّقَ فيه الشاعر في إيضاح المكانة الحقيقية للإمام عليه السلام في حياة المسلمين ومن خلال تعامله مع الآخرين، ولبيان دوره في قيادة الأمة في أيام إمامته، وسورة الحمد التي لها فضل كبير على بقية السور القرآنية، وسميت بذلك لأنّ فيها ذكر الحمد، وأنها مقدمة على سائر سور القرآن الكريم، وأنّ كل أمرٍ جامع على أمر أو متقدم لأمرٍ عليه وكان يتبعه (اماً) وهذا ما اعتادت على تسميته العرب، وسميت فاتحة الكتاب، لوجوب قراءتها في الصلاة[3]، فهكذا هو حال الإمام في فضله على سائر غيره من الناس.

ثم ينتقل الشاعر ليصور جانباً آخر من جوانب الإمام الهادي عليه السلام لبيان مكانته ومقامه عند الله، وأن له شفاعة ترتجى يوم القيامة، والشفاعة: طلبه من المشفوع إليه أمراً للمشفوع له، فشفاعة النبي صلى الله عليه وآله أو غيره عبارة عن دعائه الله تعالى لأجل الغير وطلبه منه غفران الذنب وقضاء الحوائج،

(١) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٣٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٣.

(٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١، ص١٧.

مجلة سامراء للدراسات
العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

فالشفاعة نوع من الدعاء والرجاء"[١]، فهي من أهم العمليات الروحية في العديد من الثقافات والديانات يقول: (البسيط)

هو الإمام الذي ترجى شفاعته
وحُجَّة الله في بدوٍ، وفي حضَرِ
إذا اعتصمت بحبلٍ من ولايته
فأنت من ذاكَ في أمن من الخَطَرِ
أنخ ركابك في أعتاب ساحته
في حضرة القدس ما يغني عن السَّفرِ
وانزل على بركات الله مُلتمساً
فيضاً من البحر أو نوءاً من المطرِ[٢]

فالشاعر عمد في أبياته إلى وصف عظم ومنزلة الإمام عند الله، وأنه من الحجج الذين فرض الله طاعتهم علينا والتمسك بهم وأنه إمام في كل زمان ومكان، ثم يبين أن التمسك به أمان من المخاطر والعذاب فهي تفضل من الله تعالى ودعوة مستجابة لنبينا محمد صلى الله عليه وآله ادخرت لأهل الكبائر من امته، ويشاركه فيها الأنبياء والأولياء والشهداء والعلماء[٣]، فهو يريد أن يبرز عظمته فعطاؤه غير محدود، كعطاء البحر، أو المطر.

ومن جانب آخر يتوجه الشاعر لتبيان موقف الإمام الهادي عليه السلام وأثره في نشر العلم، ومجابهة السلطة الحاكمة آنذاك التي كانت تقف ضده، فبالرغم من كل الصعوبات والمتاعب التي واجهها إلا انه لم تنقطع توجيهاته ونصائحه للمسلمين بصورة عامة ولشعيته خاصة من ذلك ما صوره الشاعر في قصيدته يقول في هذا المجال: (البسيط)

يا أيها العلمُ الهادي لأمَّتِهِ
بثاقبِ الرَّأي، أو في صائب الفكرِ
نصحتَ للناس في سرٍّ وفي علنٍ
لتُنقذ النّاس من مهوىً ومنحدر
في ظلِّ عزّتك الغرّاء فارهة
أرخيتَ للناسِ ظلاً غير مُنحسرٍ[٤]

عمد الشاعر في أبياته إلى بيان دور

(١) العاملي، محسن الأمين، كشف الارتياب في أتباع محمد عبد الوهاب، ص١٩٦.

(٢) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٣٩٣- ٣٩٤.

(٣) ينظر: المنشاوي، طارق محمد عبد الله، الشفاعة في الكتاب والسنة بين الاثبات والنفي، مقال، شبكة الألوكة: ٢٠٢٢م، تاريخ الزيارة: ١٣/ ٩/ ٢٠٢٣.

(٤) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٣٩٥.

العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

الإمام التبليغي بالرغم من الهيمنة وجور السلطة الحاكمة، فقد استمر في نشر علمه وعلوم أجداده فقد "شرح الله صدر الإمام الهادي للعلم، وأوسع صدره للمعارف، فقد تفتحت له أسرار الحقائق وغوامض الأمور بغير طلب أو جهد، ... وقد تسالم العلماء والفقهاء على الرجوع إلى رأيه المشرّف في المسائل المعقدة والغامضة في أحكام الشريعة الإسلامية"[١]، فصوره بأنه منارٌ، وعَلَمٌ، وهادٍ للأمة ويرشد الناس إلى الخير والصلاح وإبداء رأيه في جميع الأحوال، أو إعطاء الفكره الصائبة التي ترشد المجتمع إلى ما فيه صلاحهم، وأن نصائح الإمام عليه السلام لم تنقطع سواء في السر، أو على مرأى ومسمع الجميع، فقد مدّ بظله عليهم.

في شجاعة الإمام عليه السلام وبسالته:

لقد تميز الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام بشجاعته تبعاً لإبيه وأجداده عليهم السلام، فقد كان مدافعاً عن الدين، والحق، والعدالة، في زمنٍ كانت الحكومة الغاصبة آنذاك ظالمة، فقد كان مستنكراً لظلمهم، من ذلك قوله: (البسيط)

وفي مواقفك العصماء قد هُزمت
فلولُ جيش من الطُّغيانِ مُندحرِ
قابلت دولتهم فرداً، فما صمدت
تلك الزُّحوف، ولا أبقت على أثرِ[٢]

انتقل الشاعر إلى إظهار شجاعة وبسالة الإمام على الهادي عليه السلام في مواجهة الحكام وبخاصة السلطة الحاكمة آنذاك التي كانت لا تتورع في سفك الدماء، ولا يتوقفون عن ارتكاب المحرمات، فهم كانوا طلاب ملك وسلطة، وعانت الأمة من ويلاتهم الشيء الكثير والذين عبّر عنهم بالكناية في قوله (جيش من الطغيان)، فقد زجوا الكثير من الشباب في السجون والمعتقلات ومعسكرات الحرب، يضاف إلى إنتهاكهم الحرمات والمقدسات[٣]، ورغم مضايقة السلطة له، إلا أن الإمام عليه السلام لم يكن يبالي بكل هذه المواجهات والمضايقات، فقد شبه الشاعر مواقف الإمام الصارمة تجاه السلطة بالمواقف الفريدة من نوعها والتي هزت عروش

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الهادي عليه السلام، ص٦٥.

(٢) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٣٩٦.

(٣) ينظر: الصغير، محمد حسين علي، الإمام علي الهادي النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي، ص٧٥.

الطغاة، وأنه عليه السلام قد وقف بوجه هذا الطغيان وقابلهم بكل وعي وحكمة مراعياً الظروف الاجتماعية والسياسية.

وفي إشارة الشاعر إلى نزول الإمام عليه السلام في سامراء وحبه لها:

قدم الإمام عليه السلام إلى سامراء بعد أن استقدمه المتوكل العباسي وفرض عليه النزول في خان يسمى (خان الصعاليك)، وهو مكان وضيع يرتاده الفسقة والقتلة ويسكن فيه المشردون والبؤساء، فكان الغرض منه الاستهانة بالإمام عليه السلام إلى أن انتقل إلى داره واتخذها مقراً لسكناه التي هي الآن مرقده الشريف، وبقي في سامراء عشر سنين وأشهراً[1]. وفي ذلك يقول: (البسيط)

ويا نزيلاً بسامرَّاءَ بي دَنَفٌ
إلى لقاكَ وبي شوقٌ إلى السَّمَرِ
سمرتُ في حبِّكم طفلاً وخالطني
فتىً، وذا الشّيبُ يستشري على شعري[2]

لقد وجه الشاعر في أبياته إلى تصوير مدى حبه للإمام عليه السلام وعشقه إليه، فقد برع في تصويره، فسلك الشاعر أسلوب التشبيه البليغ لأنه يريد أن يطابق المعنى لصورة مرئية للمتلقي، فقد عَبَّرَ عنه بأنه الإنسان الذي يفقد حياته من شدة شوقه إلى لقائه، وكأنه يصورها إلى أنه يجلس معه ويسهر ويتسامر، كسهر المعشوق مع معشوقه والحديث معه في أوقات متأخرة من الليل وهو وقت السحر، ثم ينتقل وصف وسرد تأريخ وتفاصيل حبه له عليه السلام، فعمد إلى استعمال المجاز فهو صورة من صور البلاغة في قوله (الشيب يستشري)، فهو منذ أن كان طفلاً قد رضع حب الإمام عليه السلام فاختلط بلحمه ودمه حتى غدا شاباً يافعاً في ريعان شبابه، واستمر هذا إلى مرحلة سيطرة الشيب على رأسه .

وكما أشار الشاعر في بعض قصائده إلى مكانة مدينة (سامراء) وتاريخها العريق وأنها قد تشرفت بأنها ضمت أجساد أولياء الله الأئمة المعصومين عليهم السلام وفي هذا يقول: (مجزوء الكامل)

لله (سامرَّاءُ) قد
ضمّت من النبع النّطافا
جمعت إلى الدين القويـ
ـم بها الكرامة والعفافا

---

(١) الصغير، محمد حسين علي، الإمام علي الهادي النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي، ص١٢٠.

(٢) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٣٩٦.

العدد: التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

وزهـــت أشَّعتُها بنو

ر الله يزدهر ارتصـافا

بـالـعـسـكـريَّـين الإمـا

مِين الهُـمامين اتصافا[1]

نلحظ الشاعر في أبياته يذكر مدينة (سامراء) وأنها قد ضمت وحوت في طياتها المنبع لكل خير، يضاف إلى أنه مزج بين الاستعارة والكناية، فالكرامة والعفاف لا تطلق على المدينة ولا تلتصق بها، إلا أنه يريد أن يصور ويمزج بين الدين وصفاته فالكرامة والعفاف من صفات الدين وكلاهما من الأهداف والمبادئ التي يسعى الأئمة عليهم السلام لتحقيقها، وأنها قد تنورت وارتفع ضوؤها كونها قد ضمت أجساد الإمامين العسكريين وهما الإمام علي بن محمد الهادي، والإمام الحسن العسكري عليهما السلام وأنها قد اتصفت بهما بكل معاني الصفات السامية.

مواجهته لحكام بني العباس:

عانى الإمام عليه السلام من سطوة وجبروت بني العباس، التي كانت تقوم على أساس الحقد والجبروت، إلا أنه واجههم بكل قوة وبدأ بنشر رسالة وتعاليم رسالته السماوية فلم يكن يبالي بسطوتهم من ذلك ما قاله الشاعر في هذا الجانب: (البسيط)

واستنزلت من بني العباس سطوتهم

فهم أحـاديـثُ محـزون ومعتمرِ

ماكان (معتمدٌ) منهم بمعتمدٍ

وليس (مقتدرٌ) فيهم بمقتدرِ[2]

نهج الإمام عليه السلام في حياته السياسية نهج آبائه في مواجهة حكام بني العباس، فقد عاصر عليه السلام ستة من الخلفاء العباسيين، وكانت ملاحقته للإمام بالرصد وعيون النظام، ومحاولة تصفيته جسدياً بأساليب عدّة، فضلاً عن أساليب الاضطهاد والتهديد الأخرى وقد كانت شهادته على يديه، يضاف إلى أن الإمام عليه السلام قد واجه سطوتهم وطغيانهم[3]، وأنزلها حتى أصبحت محط أحاديث على ألسنة الناس بين من هو حزين على ماجرى فهو معهم، وبين من هو أخذ العبرة والدرس من هذا الكبرياء، ثم ينتقل إلى تصوير ما منح هؤلاء الحكام من ألقاب لا يستحقونها

(١) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٤٣٧.

(٢) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٣٩٦.

(٣) ينظر: الصغير، محمد حسين علي، الإمام علي الهادي النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي، ص١٢٥.

أمثال (المعتمد، والمقتدر)، فلا هو بمعتمد عليه، ولا هو بمقتدر كما أشار اليها الشاعر في أبياته.

روافد التصوير لشخصية الإمام عليه السلام:

يعدُّ القرآن الكريم من أبرز الروافد التي استقى منها الشاعر في تشخيص صورة الإمام الهادي عليه السلام، وقد نهل الشاعر محمد حسين الصغير من القرآن الكريم، فنجد في ديوانه الصورة القرآنية واضحة، وكل ما ضمنه القرآن من المعاني السامية نجدها تطفح في جوانبه ولم تكن مقتصرة على الشعر فحسب بل كان "قرآنياً ذا مدرسة وحيدة، ألَّفَ فأبدع، وصَنَّفَ فأجاد"(١)، فالقرآن الكريم يُعد المصدر الأول الذي تأثر به الشاعر وهذا ما نجده واضحاً في أشعاره، فكان جزءاً من ثقافته، ولاسيما أنه التحق بالحوزة العلمية منذ نعومة أظفاره، كما أن ارتباطه بأهل البيت عليهم السلام كان من المصادر المهمة لأنّهم عِدلُ الكتاب، فاقتبس من هذه المصادر المهمة، وقصائده الشعرية خير دليل على ذلك.

يقول في قصيدة أنشدها في رحاب الإمام علي الهادي عليه السلام يقول: (الكامل)

تُتلى فضائلُكُم في كلّ مُحكَمةٍ
من سُورة (الدَّهر) و(الأعراف) و(الزُّمَر)
فأنتمُ العُروةُ الوثقى وعندكمُ
علمُ الكتاب، وما قد خُطَّ في الزُّبُرِ
وأنتمُ الآيةُ العُظمى التي خضعت
لها المقاديرُ، إذ جاءت على قَدَرَ (٢)

فهي دليل على ولائِه لهم وتعلقِه بهم لأنهم قد نهلوا معرفتهم وثقافتهم من القرآن، فقد ورد اقتباس النص القرآني في هذه الأبيات وإنّ فضلهم يتلى في كل موردٍ من سور القرآن الكريم وعدّ السورة التي ورد فيها فضلهم عليهم السلام (سورة الدهر)، و(سورة الأعراف)، و(سورة الزمر)، لأنهم عِدل القرآن، ليدل الشاعر فيها على الآيات التي نزلت بحقهم، فهنا استعارة تصويرية إذ شبه الشاعر يوم القيامة بمحكمة يتقاضى فيها الناس مع خصومهم، ولا سيما أنه أعطى فضيلة من يتمسك بأهل البيت عليهم السلام تنقذه من أهوال يوم القيامة، فهذا المعتقد راسخ في ضمير الشاعر لما يتمتع به من صدق الولاية لأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) عاجل، قيصر كاظم، البحث القرآني عند الدكتور محمد حسين علي الصغير، ص١٧.

(٢) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٤٠٠.

العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

وأورد في البيت الآخر فضل آخر من فضلهم عليهم السلام، فقد وردت في القرآن المجيد قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ**﴾(١)، فقد شبه أهل البيت عليهم السلام بـ (العروة الوثقى) من باب التصريح والإقرار لهم، لا من باب خلع الفضائل عليهم، وكما ورد في التفاسير العصمة الوثيقة، وعقداً لنفسه من الدين عقد وثيقاً هو الإيمان بالله ورسوله(٢). ثم إنَّ (الاقتباس) في الشطر الآخر من البيت في قوله تعالى: ﴿**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ**﴾(٣) فقد وردت لفظة (الزبر)، وهو مجاز علاقة محلية في الزبر وهو الكتاب العظيم من القرآن الكريم. وقوله في قصيدة أخرى: (البسيط)

فالثمْ تَرَى الأرضِ مِنْ بعدِ القبابِ وقُلْ
تَبَّتْ يَـدا كُـلّ مأفـونٍ وملْعُونِ
إنْ دَمَّــرُوا مَرْقدَ (الهــادي) وقُبَّتَهُ
فسـوفَ تَعْلُو شُمُوخا كالشَّواهينِ(٤)

القصيدة ألقيت في التفجير الإجرامي للروضة العسكرية المطهرة في سامراء، وقد علا القصيدة استعانة الشاعر بالقرآن الكريم، فاقتبس من قوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾(٥)، فاللفظة (تبَّ) معناها "الاستمرار بالخسران"(٦)، فخسارة الأعمال في الدنيا والآخرة، فلم يصرح القرآن الكريم وإنما كنى بـ (أبي لهب)(٧)، "لتلهب وجنتيه واشراقهما، فيجوز أن يذكر بذلك تهكماً بهِ واحتقاراً له"(٨)، ولم يصرح الشاعر بأسمائهم على ضوء القرآن الكريم، بل كنى عنهم بـ (مأفون و ملعون)، تحقيراً لهم على شاكلة تحقير القرآن لأبي لهب، وتشبيهاً لعاقبته(٩).

---

(١) سورة البقرة، الاية ٢٥٦.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ص١٣٤.

(٣) سورة القمر، الاية ٤٣.

(٤) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٤٠٨.

(٥) سورة المسد، الاية ١ .

(٦) الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، ص٧٧.

(٧) العرباوي، محسن علي، الأداء البياني في ديوان أهل البيت عليهم السلام للدكتور الصغير، ص٣٣.

(٨) الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج٢٣، ص١٦٧.

(٩) العرباوي، محسن علي، الأداء البياني في ديوان أهل البيت للدكتور الصغير، ص٣٣.

وأما في البيت الثاني فقد مازج الصورة الأولى بالتشبيه التمثيلي، إذ شبه الشاعر ارتفاع قبة الإمامين عليهما السلام وهي تناطح السّحاب بصورة أخرى وهي ارتفاع طائر(الشاهين) الذي كلما يعلو ترتفع مكانته لدى الرائي، ومن وجهة نظرنا إنَّ قبة الإمام عليه السلام وارتفاعها وعلو مكانتها لدى النّاس فيها أعظم وأجمل من كل تشبيه آخر، فكانت من الأولى على الشّاعر أن يشبّه الشواهين وارتفاعها بارتفاع قبة الإمامين عليهما السلام؛ لأنها الأعظم والأكثر شموخاً في نظرنا اتباع أهل البيت.

وراثته لرسول الله صلى الله عليه وآله:

استحضر الشاعر في الكثير من قصائده مكانة الإمام عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله ووارثه وأكد انتسابه وارتباطه برسول الله صلى الله عليه وآله وأنه امتداد لخط النبوة "إنّ علم الرسول صلى الله عليه وآله هو المنبع وعنه الصدور فتكون علومهم متّحدة لأنّها من منبع واحد، فكما انتهى علم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإمام علي عليه السلام، ومنه إلى الإمام الحسن عليه السلام، ومنه إلى الإمام الحسين عليه السلام، كذلك انتهى ذلك العلم إلى إمامنا العاشر من أئمة أهل البيت علي بن محمد الهادي عليه السلام"[1]، فقد وصف الإمام عليه السلام بأنه يحمل كل الصفات الحسنة والسمات الرائعة التي اكتسبها من الرسول صلى الله عليه وآله، فهي صفات مميزة ذات حسن وبهاء، وقد عبّر الشاعر عن استمرار حبه لهم مستعملًا الفعل (ما زال) لدلالة على الاستمرارية بقوله: (البسيط)

سُلافة من رسـول الله بـاقية
ما زال قلبي بها للآن في سُكرِ[2]

ويستمر الشاعر في وصف مشاعره وأحاسيسه تجاه معشوقه فيصفها بكل دقة فيقول(البسيط)

شممتُ تربك فانهالت عليَّ رؤىً
وطُفتُ في القبر في حشدٍ من الصُّور
كأن ذاك الضَّراحَ النَّضر حاضرةٌ
من الجنان، وواحاتٌ من الزَّهر
هبّت نسائمهُ فارتاح ذو شجنٍ
وفاح مجمرهُ .. فاهتزّ ذو ضجَرِ[3]

في هذه الأبيات نلحظ الشاعر قد عبر عن حبه للإمام عليه السلام، فنجد الانزياح

(١) الحداد، محمد عبدالسادة، الإمام علي الهادي عليه السلام ورواياته الفقهية – دراسة في دلالات المتون، ج١، ص١٢.

(٢) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٣٩٧.

(٣) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٣٩٧.

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

الذي ورد في مقدمة البيت (شممت تربك)، فالتراب لا يشم وإنما يُشم الهواء، فالشاعر عَبَّرَ عن هذا من خلال اعتزازه ومحبته لأرض الإمام عليه السلام كونها طاهرة ومقدسة في نظره تبعاً لتشيعه والتصاقه بهم عليهم السلام، فيصور التفافه حول قبره عليه السلام وتدور في مخيلته مجموعة من الصور التي يتخيلها الشاعر التي تعبر عن انفتاح مخيلته الواسعة لتصويره بأبهى صورة . ثم انتقل الشاعر في البيت الثاني إلى استعمال التشبيه الحسي باستعمال حاسة البصر، أي أنه شبه ضريح الإمام عليه السلام بالجنان، وهذا ما يعتقده المسلمون بصورة عامة وشيعتهم بصورة خاصة فهي مرئية لهم، كون حرف التشبيه (كأن) يفيد التوكيد، وهذا ما أراده الشاعر في تصوير باب مرقده الشريف بالجنة من حيث الجمالية، والإرتياح النفسي الذي ينتاب زائره، وهذا أشبه بالجنّة.

ثم يصور الشاعر بأن هذه النسائم التي تهب على الزائرين والمحبين، تزيل الهم والحزن منه، حتى كأن هذه النسائم توقد الفحم حتى يغدو متجمراً، وأما المبغض فيهتز ويشعر بالكلل والملل من شدة ما يشمه لبغضه لهم عليه السلام.

صورة تمسك الشيعة بزيارة الإمام الهادي عليه السلام:

لقد حثت الرويات على وجوب زيارة مراقد أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد في حديث الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن محمد بن أحمد بن داود، عن أبيه، قال: حدّثنا محمد بن السندي، عن أحمد بن إدريس، عن علي بن الحسين النيسابوري، عن عبدالله بن موسى، عن الحسن بن علي الوشاء، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «إنّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائهم وشيعتهم، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء، زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»[1]، فيقول في مقطوعته ليكمل ما بدأه من ذكر مناقب الإمام عليه السلام فيقول: (البسيط)

حجَّت إليه قلوب النَّاس واختلفت
مـا بـين معتصم فيه ومعتمِر
زُوروا أبا الحسن الهـادي فقبته
بها يُجـاب دُعـاءُ الخائف الحـذرِ
واستقبلوا الخَير والألطاف في جدثٍ

(١) الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٦٠.

قد ضمَّ بدرين في الأوضاح والغُرَرِ[١]

فانطلق الشاعر من هذا المنطلق ليرسم صورةً بلاغيةً جديدةً، يحاول من خلالها إيصال فكرته وغايته، فقد تواشج الفن المجازي مع الفن الاستعاري، فالقلوب في الأمر الطبيعي لا تحج؛ بل يحج الناس جميعهم وبكامل أجسادهم، فالمجاز الذي جاء في هذا النص علاقته جزئية فقد ذكر الشاعر القلوب والمراد الحقيقي منه كل الناس، ومن جانب آخر أورد الاستعارة، فقد شبه أو استعار الكعبة المشرفة بضريح الإمامين عليهما السلام، فقد حذف لفظة الكعبة المشرفة وأبقى لازمة من لوازمه وهي (معتصر، معتمر) وهذه استعارة مكنية وهي دليل عليه، فالشاعر يؤكد على أن الدعاء تحته قبتهم المباركة مجاب وهذا ما اكدت عليه العديد من الروايات والأحاديث، فهو يأخذ بيدك إلى شاطئ الأمان، فقد ورد في الحديث الشريف «إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[٢]، فهو واضح في دلالته على مقام الأئمة عليهم السلام من الأمة، فهو يؤكد على وجوب اللجوء اليهم، فهو نجاة من طوفان التحريف والنفاق، وهذا ما أكده الشاعر في في عجز البيت الثاني.

وانتقل الشاعر في البيت الثالث ليجسد صورة التجسيم، لأن الخير معنوي فقال الشاعر (استقبلوا الخير) وكأن الخير شخص مجسم زائر فأورد لفظة (استقبلوا) وهذه عادةً تستعمل لشخص ما وليس لشيء معنوي، فاعطى للخير صفة إنسانية.

فالشاعر جاء بحشد من عناصر الأداء البياني، أو الفنون البيانية يرسل للمتلقي صورة وضاءة تبين الجمال والمكانة التي يحويها مقام الإمام عليه السلام ومنزلته في نفس المتلقي، فهذا الحشد جعله يتراءى بصورٍ حسيّة لتقريب المعنى وتثبيته في ذهن المتلقي.

وصف الشاعر لقصور الخلافة وخرابها:

فبعد أن احتلت مدينة سامراء مكانة عظيمة وخاصة بعد اتخاذ العباسيين عاصمة لهم فبنيت فيها القصور الشاهقة وقد أشرنا اليها سابقاً، وما شهدته من ظلم وجور من قبل خلفاء بني العباس الذين تسلطوا على رقاب الناس بالقهر والقوة

(١) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٢٩٧.

(٢) ابن المقرب، أحمد، أربعون حديثا عن أربعين شيخا في أربعين، ص٥٥.

العدد: التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

والغلبة، وخاصة لأئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، ولكن سرعان ما تبددت تلك القصور وطالها الخراب وقد أشار إليها شاعرنا محمد حسين الصغير بقوله: (الطويل)

وقفتُ على دورِ الخلائِفِ وقفَة
بها عِــبَرَةً للمتَّقينِ وتذكارُ
وكم عظةٍ للغابرين من الأُلى
أشادُوا حياةً للفناءِ بها صاروا
قُصورٌ بناها الظلم فأنهارَ ركنُها
وكلُ بناءٍ شادهُ الظلم مُنهارُ
وغالى (بنو العباس) في مستقرِها
فبادت وهل يبقى مع الدهرِ ديّارُ[1]

لقد أعطى الشاعر درساً قيماً في الموعظة والإرشار للخلفاء والحكام الذين تتهيأ لهم الفرصة في قيادة وزعامة الأمة من خلال زيارته للإثار والقصور الخاوية التي طالما طالها الظلم، فمن خلال أثارها نأخذ العبرة وتكون درساً للقادمين، فقد وصلت هذه القصور إلى أعلى مستوياتها ولكن حالها اليوم الخراب والدمار الذي طالها فعادت خراباً تسفي بها الرياح، يضاف إلى أن الشاعر يصور حال الحكام بأنهم قد شيدوا حياتهم الفانية وخربوا أخرتهم الباقية، ثم يعطي الشاعر موعظة ونصيحة من خلال أن كل ظالم وظلم لايبقى وأنما يزول وينهار "إن اندثار قصور المتوكل وخرابها السريع بعد ذلك كان عقاباً إلهياً من الله على الجريمة النكراء التي ارتكبها في تهديم قبر الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء سنة ٢٣٦هـ"[2]، وهذا الظلم يجري إلى المعتز العباسي الذي أجهز على الإمام الهادي عليه السلام.

ويستكمل الشاعر قصيدة فيشير إلى ما قامت به مديرية آثار العامة لتجديد دور الخلائف إلا أنها لم توفق في ذلك فيقول: (الطويل)

وجدَّدتِ (الآثارُ) منها رسومها
ولَمَّا تزل في رسمها، وهي آثار
تبخرت الأحلام بعد غرورها
وما بقيت إلا الفضيحة والعار[3]

أشار في هذين البيتين إلى أن رغم

(١) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٤٤٥.

(٢) الخياط، جعفر، سامراء في المراجع الغربية، موسوعة العتبات المقدسة، قسم سامراء، ج١، ص٢٠٤.

(٣) الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، ج١، ص٤٤٥.

المساعي التي بذلت لإعمار هذه القصور إلا أنها باءت بالفشل وبقيت على حالها خاوية، وكل من أرد أن يسعى لإبقاء آثار الظالمين تبدد أحلامهم وتتبخر، ولم يبق من هذه العظمة والفخامة إلا انهم نالوا الفضيحة والعار، وقد لاصقتهم على دوام حياتهم.

الخاتمة:

ضمَّنَ الأستاذ والشاعر العراقي المعاصر محمد حسين الصغير (رحمه الله تعالى) في بعض قصائده مدح وبيان مقام ومنزلة الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، وقد أجاد في هذا الجانب، إذ منح القارئ صورة شفافة وواضحة وجليَّة عن سيرة الإمام عليه السلام وشخصيته وبيان موقفه الصلب. وفي ذلك كان يعتمد على خلفيّته العلميّة في تاريخ الإسلام بصورة عامة وبأهل البيت عليهم السلام بصورة خاصة، فضمّن شعره إشارات تاريخية ودينيّة تزوّد القارئ الكثير من الحقائق. من أهمّ الصور التي جسّدها الشاعر في طيّات نصوصه عن الإمام الهادي عليه السلام هي صورته المشرقة في حسبه ونسبه، ووراثته للنبوة، والإمامة، وعلمه، وسجاياه وخصائله، ومجده، وكرامته، ونزوله في مدينة سامراء وشجاعته في مواجهة حكومة بني العباس، ثم ينتقل بعدها الشاعر إلى تصوير مظلوميّته عليه السلام وما تعرّض له من بطش وتعذيب وسجن في حياته. كما أوضح دوره عليه السلام الكفاحي في نشر العلوم الدينية، والتمهيد لمشروع الوكلاء الذين يبلِّغون عنه. وحثَّ الشاعر على المداومة على زيارة الإمام عليه السلام، وأشار إلى بقاء قبته مناراً شامخاً، بخلاف دور الخلافة التي أُبيدَت وأصابها الخراب، فهو شاهد على مصداقية دعوته، وقد أبدع الشاعر في وصف مدينة سامراء وجمال طبيعتها.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن الجهم، ديوان علي بن الجهم، تحقيق: خليل مردم بيك، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩م - ١٣٦٩هـ.

٢. ابن المقرب، أحمد، أربعون حديثا عن أربعين شيخا في أربعين، تحقيق: صلاح عبد عياض الشلاجي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣. ابن شهر اشوب، رشيد الدين (ت:٥٨٨هـ)، مناقب ال أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٥هـ.

٤. الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.

٥. الاميني، الشيخ عبد المحسن (ت: ١٣٩٠هـ)، شعراء الغدير في القرن الحادي عشر، مركز الأبحاث العقائدية.

٦. البحتري، ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مطبعة دار المعارف، مصر.

٧. الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٨. الجواهري، محمد مهدي، ديوان الجواهري، مطبعة الغري، النجف، مجلد١، ١٩٣٥م، ١٣٥٤هـ.

٩. الحداد، عبد السادة محمد، الإمام علي الهادي عليه السلام ورواياته الفقهية دراسة في دلالات المتون، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

١٠. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ)، معجم الادباء، تحقيق احمد فريد رفاعي، الطبعة الأخيرة.

١١. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

١٢. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

١٣. الخياط، جعفر، سامراء في المراجع الغربية، بحث مطول في موسوعة العتبات المقدسة للأستاذ جعفر الخليلي، مطابع دار الكتب، بيروت، قسم سامراء١، د.ت.

١٤. الرازي، محمد فخر الدين ابن

العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط٣، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.

١٥. السامرائي، يونس أحمد، سامراء في ادب القرن الثالث الهجري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨م.

١٦. شبر، جواد، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام، مكتبة مدرسة الفقاهة.

١٧. الشكعة، مصطفى، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

١٨. الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت: ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا، دار العلم، قم، ١٣٧٧هـ.

١٩. الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٢٠. الصغير، محمد حسين علي، الإمام علي الهادي النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي، مؤسسة البلاغ، النجف الاشرف، ٢٠١٢م.

٢١. الصغير، محمد حسين علي، المجموعة الشعرية الكاملة، المكتبة الأدبية المختصة، النجف الاشرف، ط١، ١٤٤١هـ.

٢٢. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢٣. عاجل، قيصر كاظم، البحث القرآني عند الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار الضياء للطباعة والتصميم، ط١، النجف الأشرف، ٢٠٠٨م.

٢٤. العاملي، السيد محسن الأمين، كشف الارتاب في أتباع محمد عبد الوهاب، دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٤٢٨هـ.

٢٥. العرباوي، محسن علي، الأداء البياني في ديوان أهل البيت عليهم السلام للدكتور الصغير، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

٢٦. فروخ، عمر، صفحات من حياة الكندي، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ١٩٦٢م.

٢٧. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الهادي عليه السلام، ط٢، مركز الأجبر لإحياء التراث الإسلامي، النجف الأشرف، ١٤٢٧هـ.

٢٨. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ)، أصول الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٣هـ.

٢٩. المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٦هـ.

٣٠. المجمع العلمي، أعلام الهداية: الإمام علي بن محمد الهادي، مركز الطباعة والنشر للمجمع العلمي، قم، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣١. المحلاتي، الشيخ ذبيح الله، مآثر الكبراء في تأريخ سامرّاء، المكتبة الحيدرية، شريعت، ط١.

٣٢. المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥م.

المواقع الألكترونية:

- http://www.imamreza.net أسماء سامراء في الشعر العربي، تاريخ الزيارة ٥/ ٦/ ٢٠٢٣.
- المنشاوي، طارق محمد عبد الله، الشفاعة في الكتاب والسنة بين الاثبات والنفي، مقال، شبكة الألوكة، ٢٠٢٢م.